

«التأصيل الشرعي لمنهج ابن خلدون التربوي (دراسة منهجية مقارنة)»

.....أ.م.د. صلاح حميد عبد | ٤٦٧

# التأصيل الشرعي لمنهج ابن خلدون التربوي (دراسة منهجية مقارنة)

أ.م.د. صلاح حميد عبد  
الجامعة العراقية / كلية العلوم الإسلامية



«التأصيل الشرعي لمنهج ابن خلدون التربوي (دراسة منهجية مقارنة)»

.....أ. م. د. صلاح حميد عبد | ٤٦٩

في كتابه المقدمة، وسوف يسعى هذا البحث للوقوف على هذه الآراء وتأصيلها وربطها مع الحياة المعاصرة.

## المقدمة

لقد اجتهد ابن خلدون في بناء وعي تاريخي جديد يستمد أصوله المعرفية والمنهجية من الاستنطاق العميق للقرآن الكريم ومن القراءة العلمية للماضي التي تنتقد المنهج الإخباري بناء على التعليل المنطقي ثم التفسير الفلسفي لأحداث التاريخ ليس لاستخلاص العبر فقط، وإنما لصياغة نموذج تحليلي يجمع بين قراءة الواقع البشري والتطورات الفكرية للإنسان. وفي سياق جمعه بين القراءتين عمل على تطبيق الآلية المقاصدية في منهجه التحليلي وإن لم يشر في مقدمته لتعريف المقاصد الشرعية واتصالها أو انفصالها عن أصول الفقه. وقد تساوى مشروع الشاطبي ومشروع ابن خلدون في افتقاد الآلة المفعلة لهما، الموصلة لتحقيق مقاصدهما، المحركة لسكونية العقل المسلم ودفعه للمسائلة عن موقعه الديني والحضاري، وذلك بسبب الواقع السياسي المريض الذي عاش فيه.

إن تأصيل بعض معالم نظرية المقاصد عند ابن خلدون من جهتين:

١. جهة معرفية: بيان مرجعية ابن خلدون المقاصدية من خلال تطبيقه لمنظور الرؤية المقاصدية والاستقراء والتعليل وملاحظة علاقة الأسباب بمسبباتها..

٢. جهة منهجية: بيان التفعيل المنهجي

يتميز كل عصر بفكره وفلسفه حياته، والمسلمون الأوائل خلفوا تراثاً فكرياً وتربوياً ينبغي أن نعتز به، لأنه يعكس صورة الماضي، وبالتالي يضيء لنا طريق الحاضر والمستقبل، بقدر رجوعنا إليه واستشهادنا به، وأن نأخذ منه ما يتفق مع ظروفنا الراهنة وقضايانا المعاصرة فإننا للأسف لا نعرف إلا القليل من تراثنا عن جهل، أو تقليد للتربية الغربية، لذا وجب علينا ونحن في بدايات القرن الحادي والعشرين أن نعود إلى فكرنا وتراثنا العربي الإسلامي، وأن نستفيد منه لأن العمل للحاضر والمستقبل لا يتم إلا بالرجوع إلى الماضي وذلك ؛ لأن حاضرننا لا يستغني عن ماضينا، وعن الفحص الدقيق لأرضه التي يقوم عليها البناء الجديد. ولما كان الفكر التربوي في الإسلام يعتمد على القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، فقد كانت أول مدرسة شهدتها الإسلام هي دار الأرقم بن أبي الأرقم في مكة، ثم كان مسجده صلى الله عليه وسلم في المدينة هو الثاني، وبمرور الأيام وتغيرات المجتمع الإسلامي ظهر الفقهاء والعلماء والأدباء والفلاسفة وظهر معهم فكر تربوي إسلامي أساسه القرآن الكريم والسنة.

ومن هؤلاء ابن خلدون والذي عُرف على أنه عالم اجتماع ولكن له آراء تربوية ذكرها

للمقاصد الشرعية من خلال والقدرة التحليلية الاستنباطية التي يمكن للمنهج المقاصدي أن يسهم بها. إن التطبيق المقاصدي عند ابن خلدون الأعمال الجيد للمنهج المقاصدي في تفسير نظريته حول العمران البشري، باعتبار أن المنهج المقاصدي قاعدة علمية تستوعب نظرية الغايات المصلحية التي جاءت الشريعة لتحقيقها في أفعال العباد بالجلب أو الدفع. فالمقاصد الشرعية في هذه النظرية لا يمكن حصرها في كونها مجرد تعليل للأحكام الشرعية فحسب بل مفتاحا للتحكم في عالم الشهادة بما تشكله من مرجعية للاختيارات الحضارية والمجتمعية التي من شأنها تحريك الأمة نحو العلو والتغيير المرشدان بالبلاغ الرباني. ، فالمنهج المقاصدي «لا يلتمس تكييف الوقائع الجزئية تفصيلا فيحكم على الواقعة قياسا على ما يشابهها من واقعة سالفة، بل يركب مغزى اتجاهات سيرة الشريعة الأولى ويحاول في ضوء ذلك توجيه الحياة الحاضرة»، وهذا التركيب قياس شمولي مصلحي، «فهو درجة أرقى في البحث عن جوهر مناطات الأحكام، إذ نأخذ جملة من أحكام الدين منسوبة إلى جملة الواقع التي تنزل فيه ونستنبط من ذلك مصالح عامة ونرتب علاقاتها من حيث الأولوية والترتيب، وبذلك التصور لمصالح الدين نهدي إلى تنظيم حياتنا بما يوافق الدين، بل يتاح لنا

-ملتزمين بتلك المقاصد- أن نوسع صور التدوين أضعافا مضاعفة». وبهذا يتبين مفهوم التطبيق المقاصدي عند ابن خلدون بأنه مفهوم عملي يتحدد في التوظيف العلمي والتنزيل السليم للمصالح الشرعية العامة والخاصة، الأصلية والتبعية القطعية والظنية في نظريته حول العمران البشري، وذلك أنه حمل للمجتمع على مقتضى النظرين الشرعي والعقلي في جلبهما للمصالح ودفعهما للمضار. إن التربية الإسلامية هي النابعة من القرآن الكريم والسنة المطهرة، وفي الوقت الحاضر ينادي علماء التربية المسلمين بإتباع أقوال علماء الغرب من غير المسلمين، ومع أن بعض آرائهم جيدة، إلا أن الكثير منها يخالف الإسلام، لذا وجب علينا الرجوع إلى القرآن الكريم والسنة وإلى تراث علماء الإسلام للاستفادة منه في حل قضايانا المعاصرة، وفي ضوء ذلك يمكن تحديد مشكلة البحث في السؤال التالي: ما هي الآراء التربوية لابن خلدون؟ وقد قسمت البحث على مبحثين: المبحث الأول: تطرقت فيه إلى تعريف عنوان البحث. وأما المبحث الثاني: تناولت فيه تأصيل آراء ابن خلدون التربوية، وفيه مطلبان: المطلب الأول: أهداف وآراء ابن خلدون التربوية. وأما المطلب الثاني: تناولت فيه أصل آراء ابن خلدون التربوية.

«التأصيل الشرعي لمنهج ابن خلدون التربوي (دراسة منهجية مقارنة)»

.....أ. م. د. صلاح حميد عبد | ٤٧١

شرّع في بناء منهجه التربوي وتأصيله بما يأتي:

١. الاعتماد على القرآن الكريم والسنة النبوية،

إذ جعله العماد منهجه؛ لأنّ فيهما كلمات

جامعة، وقضايا كلية، وقواعد عامة. (٥)

٢. فهم الصحابة للنصّ، إذ هم عاصروا التنزيل

والوحي، وتلقوا الأحكام مشافهة بلا واسطة

عن رسول الله ﷺ.

٣. الاعتماد على اللغة العربية في تفسير

النصوص، والمراد منها. (٦)

٤. الاعتماد على العرف الشرعي، إذ أنّ مطمح

نظر العلماء البحث عن الأحوال، ولاشك أنّ

مبنى أكثر الأحكام العرف في الاستعمال، لا

مجرد الأوضاع اللغوية، حتى أنّها ربما تكون

مهجورة ملحقّة بالمجاز. (٧)

إنّ الغاية من أصول الفقه معرفة الأحكام

الشرعية وتطبيق القواعد الكلية على الأدلة

التفصيلية، لاستنباط الأحكام الشرعية العملية

منها، أو الموازنة، والترجيح بين آراء الفقهاء في

المسائل الاجتهادية. (٨)

(٥) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور: ١١٣٤/١.

(٦) ينظر: أعلام الموقعين، لابن قيم الجوزية:

٣٤١/٢، وخلاصة التشريع الإسلامي، لعبد الوهاب

خلاف: ص ٢٩، والقواعد المستخرجة من كتاب

أعلام الموقعين، لعبد المجيد الجزائري: ص ٢٠٣،

والتصور اللغوي عند الأصوليين، د. السيد احمد عبد

الغفار: ص ٩.

(٧) مرآة الأصول، لمنلا خسرو: ص ٢٨٢.

(٨) البرهان، للجويني: ٨٤/١، والإحكام في أصول

الأحكام، للآمدي: مج ١، ٨/١.

## المبحث الأول

### التعريف بعنوان البحث

#### • المطلب الأول: ماهية التأصيل الشرعي

التأصيل: جعل العلماء للشيء أصلاً مؤصلاً

ثابتاً يبنى عليه<sup>(١)</sup>، وأصل علمه باصله أصلاً:

قتله علماً من الأصل، بمعنى أصاب أصله

وحقيقته، فيقال: أصل الاصول، كما يقال:

بوّب الابواب، ورتّب الرتب<sup>(٢)</sup>.

وللتأصيل الشرعي ألفاظ ذات صلة بها منها:

أثّل: أثل كل شيء أصله، وأثّل يَأْثِلُ أَثُولاً،

وتأثّل: تأصّل، وأثّل ماله: أصله، إذ كل شيء

قديم مؤصّل، فالتأثيل التأصيل، وتأثيل المجدد:

بناؤه<sup>(٣)</sup>.

إنّ الاسم أقوى في التأصيل من الفعل؛ لأنّه

مستقل ويتركب من جنسه جملة مفيدة،

كقولك: زيد قائم، فكل فعل إلاّ ويحدّث به

ولا يحدّث عنه فيقدر اسماً<sup>(٤)</sup>

فلم يكن ابن خلدون يعتمد النقل المجرد، بل

(١) ينظر: لسان العرب لابن منظور: ١٦/١١ مادة

اصل. والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير

للفيومي: ٢٤/، والتعاريف، للمناوي: ص ٦٩.

(٢) تاج العروس: ٦٨٣٩/.

(٣) ينظر: لسان العرب، لابن منظور: ٩/١١، مادة

أثّل.

(٤) المنحول، للغزالي: ص ٨٠.

٥. الاعتماد على المنطق، وكان الرائد في هذا الفن الإمام الغزالي، وقد سبقه عدد منهم الإمام الجويني، فقد أدخلوا المنطق في هذا العلم<sup>(١)</sup>.

#### • المطلب الثاني: التعريف بابن خلدون

هو عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي، من ولد وائل بن حجر، الفيلسوف العالم الاجتماعي، أصله من إشبيلية، ومولده ونشأته بتونس في غرة رمضان سنة ٧٣٢ هـ الموافق ٢٧ مايو ١٣٢٢ م، نشأ بين أسرة عريقة في الشرف والرياسة والعلم والسياسة، أجاد أصول الفقه على مذهب مالك وتعمق في الفلسفة والمنطق، ونبغ في كل ما تعلمه وهو لم يبلغ العشرين، حتى أقر له أساتذته بالعبقرية. اشتهر بكتابه العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر، في سبعة مجلدات، أولها المقدمة وهي تعد من أصول علم الاجتماع، وقد ترجمت إلى اللغة الفرنسية وغيرها<sup>(٢)</sup>.

#### • المطلب الثالث: مصطلحات البحث:

١- التربية: تعرّف التربية بأنها «تنمية الوظائف الجسمية والعقلية والخلقية حتى تبلغ كمالها عن طريق التدريب والتثقيف»<sup>(٤)</sup> ويقصد بها عند علماء التربية نمو الكائن البشري من خلال الخبرة المكتسبة من مواقف الحياة المتنوعة، ويقصد بالنمو اكتساب خبرات جديدة متصلة ومرتبطة ارتباطاً معيناً لتكون نمطاً خاصاً بشخصية الفرد وتوجهه إلى المزيد من النمو ليتحقق بذلك أفضل توافق بين الفرد وبيئته<sup>(٥)</sup>.

تولى عدة مناصب سياسية في تونس ثم رحل إلى تلمسان ومنها إلى المغرب والأندلس

عند بني الأحمر ملوك غرناطة، وضع مقدمته الشهيرة أثناء إقامته في المغرب وله مؤلفات

(٣) ينظر: الاعلام للزركلي: ١٠٦، ابن خلدون حياته وتراثه الفكري: ص ١٢، التربية الإسلامية وفلاسفتها. محمد الإبراشي، (١٣٩٥). مصر: مطبعة الحلبي ص (٢٧٣).

(٤) ينظر: قاموس التربية. فاخر عاقل: ص ٢٧.

(٥) مقدمة في فلسفة التربية، محمد النجحي: ص ١١٧.

(١) ينظر: المستصفي، للغزالي: ص ١١.

(٢) ينظر: الاعلام للزركلي: ١٠٦، ابن خلدون حياته وتراثه الفكري. محمد عنان، (١٩٣٣). القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، ص ١٢.

«التأصيل الشرعي لمنهج ابن خلدون التربوي (دراسة منهجية مقارنة)»

.....أ. م. د. صلاح حميد عبد | ٤٧٣

ويقصد بها هنا التعرف على الآراء والأفكار التربوية لابن خلدون. ومن خلال الدراسات السابقة يوضح أن أكثر الكتابات عن ابن خلدون هي باعتباره عالماً كبيراً في الاجتماع، وقد وجدت بعض الكتب التي كتبت عن فكر ابن خلدون التربوي واستفدت منها: التربية الإسلامية وفلاسفتها حسين عاصي سنة الطبع ١٣٩٥هـ، والتربية الإسلامية المفهومات والتطبيقات زكريا إمام سنة الطبع ١٤٢٥هـ.

٢- التربية الإسلامية: تعرّف بأنها «المفاهيم التي يرتبط بعضها ببعض في إطار فكري واحد يستند إلى المبادئ والقيم التي أتى بها الإسلام والتي ترسم عدداً من الإجراءات والطرائق العملية يؤدي تنفيذها إلى أن يسلك الفرد سلوكاً يتفق مع عقيدة الإسلام»<sup>(١)</sup> ويمكن تعريفها من خلال الربط بين مفهوم التربية ومفهوم الإسلام بأنها «إحداث تغيير في سلوك الفرد في الاتجاه المرغوب فيه من وجهة نظر الإسلام»<sup>(٢)</sup>.

٣- الفكر التربوي: ويقصد به الآراء والتصورات والمبادئ التي قدمها علماء التربية أو النظرية التربوية كما يتصورها علماء التربية.

فالفكر التربوي هو «ما أبدعته عقول الفلاسفة والمربين عبر التاريخ فيما يخص مجال التعليم الإنساني، وتنمية الشخصية وشحن قدرتها ويتضمن النظريات والمفاهيم والقيم والآراء التي وجهت عملية تربية الإنسان»<sup>(٣)</sup>  
٤- الفكر التربوي الإسلامي: وهو عبارة عن مجموعة الآراء والأفكار والنظريات التي احتوتها دراسات الفقهاء والفلاسفة والعلماء المسلمين وتتصل اتصالاً مباشراً بالقضاء والمشكلات التربوية<sup>(٤)</sup>



(١) أصول التربية الإسلامية، سعيد علي: ص ٦ .

(٢) أصول التربية الإسلامية، أمين أبو لاوي: ص ١٨ .

(٣) الفكر التربوي مدارسه واتجاهات تطوره، مصطفى زياد: ص ٢٤ .

(٤) أصول التربية الإسلامية. محمد الخطيب، ومصطفى متولي ونور الدين عبدالجواد ومحروس غبان وفتحية الفزاني: ص ٤٤ .

الطبيعي، والعلم الإلهي ( ما وراء الطبيعة )  
وعلم النظر في المقادير (الرياضيات والفلك  
والهندسة).

وقد رتب ابن خلدون العلوم بحسب أهميتها  
للمتعلم على النحو الآتي :

١-العلوم الدينية وهي العلوم المقصودة  
بالذات مثل القرآن الكريم والحديث الشريف  
٢-العلوم العقلية وهذه أيضاً علوم مقصودة  
مثل العلم الطبيعي.

٣-العلوم الآلية المساعدة للعلوم الشرعية مثل  
اللغة والنحو والبلاغة.

٤-العلوم الآلية المساعدة للعلوم العقلية مثل  
علم المنطق<sup>(٢)</sup>

ثانياً: آراء ابن خلدون التربوية.

لقد أفاض ابن خلدون في آرائه التربوية التي  
حكمت المجتمع الإسلامي ومنها:

١- إن كثرة التأليف في العلوم عائقة على التحصيل:  
يقرر ابن خلدون أن العقل الإنساني يشوبه  
القصور، وأن مراتبه تختلف باختلاف البشر،  
وخاصة في المراحل الأولى من حياة الإنسان،  
وقد ذكر أن عقل الإنسان لا يستطيع أن  
يستوعب العلوم التي تكثر فيها المصطلحات  
والمؤلفات وقد ذكر في المقدمة: ( اعلم أنه مما  
أضر بالناس في تحصيل العلم والوقوف على  
غاياته كثرة التأليف واختلاف الاصطلاحات  
في التعليم، وتعدد طرقها، ثم مطالبة المتعلم

## المبحث الثاني

### تأصيل آراء ابن خلدون التربوية

• المطلب الأول: أهداف وآراء ابن خلدون  
التربوية

أولاً: أهداف التربية عند ابن خلدون.

يرى ابن خلدون أن للتربية أهدافاً هي :

١- إعطاء الفرصة للفكر لكي ينشط.

٢- إعطاء الإنسان الفرصة لكي يحيى حياة  
طيبة في مجتمع راق متحضر.

٣- إعطاء الإنسان الفرصة لكسب الرزق وتنمية  
الخصال الحميدة فيه ويعتبر أن الأساس في

التعلم القرآن الكريم<sup>(١)</sup>

إن ابن خلدون قسم العلوم إلى قسمين:

الأول: العلوم النقلية: وهي العلوم التي ينقلها  
الإنسان عن من وضعها، وكلها مستندة إلى الخبر  
من مصدره الشرعي ولا مجال للعقل فيها،  
إلا إلحاق الفروع بالأصول، ومن هذه العلوم،  
علم التفسير، علم القراءات، علوم الحديث،  
علم أصول الفقه، علم التوحيد، علم البيان،  
علم الأدب.

الثاني: العلوم العقلية، وهي التي يهتدي إليها  
الإنسان بعقله وهي تشمل علم المنطق والعلم

(١) تطور الفكر التربوي، فخري خضر: ص ١٥٨

(٢) المصدر السابق.



«التأصيل الشرعي لمنهج ابن خلدون التربوي (دراسة منهجية مقارنة)»

.....أ. م. د. صلاح حميد عبد | ٤٧٥

النظريات المتعددة التي تنادي بمراعاة الفروق الفردية بين الطلاب، كما ظهر مبدأ التدرج في التعليم، والانتقال من السهل إلى الصعب ومن المحسوس إلى المجرد.

٢- عدم إشغال المتعلم بعلمين في وقت واحد :

إن تعليم الطلاب علمين في وقت واحد، يشغل الطلاب ويعرضهم للفشل والإحباط، وذلك لأن عقل الإنسان محدود، وغير قادر على الإحاطة بأكثر من علم في وقت واحد، وفي ذلك يقول ابن خلدون: ( أن لا يخلط على المتعلم علمان معاً، فإنه حينئذ قل أن يظفر بواحد منهما لما فيه من تقسيم البال وانصرافه عن كل واحد منهما إلى تفهم الآخر، فيستغلقان معاً ويستصعبان، ويعود منهما بالخيبة، وإذا تفرغ الفكر لتعلم ما هو بسبيله مقتصرأ عليه، فربما كان ذلك أجدر بتحصيله ) (٣).

كما أنه نادى أن يتم تعليم القراءة والكتابة ثم الانتقال إلى تعليم القرآن الكريم وحفظه وفهم معانيه، وهو ينتقد المعلمين في عصره لأنهم يصرون على تحفيظ المتعلمين الصغار القرآن الكريم، قبل تعلم القراءة والكتابة ويقول أن القرآن الكريم هو كتاب الله، وليس لنا أن نقلده، وليس له تأثير في اللغة قبل أن يفهم الناشئة معانيه ويتذوقون أساليبه، ويدركون مقاصده، ويكون ذلك بتعليمهم مبادئ القراءة والكتابة،

باستحضار ذلك) (١)

ويقصد ابن خلدون هنا، كثرة المؤلفات والمصطلحات في العلم الواحد، بحيث يؤدي ذلك إلى نفور المتعلم من التعليم، وابن خلدون يهدف إلى التيسير علم المتعلم وبالخصوص في بداية عهد الطالب بالتعليم. ومن الدوافع لدى ابن خلدون لكتابة هذا الفصل كثرة طرق التدريس في عهده، حيث انتشر في عهده الطريقة القيروانية والمصرية والبغدادية والقرطبية وغيرها. وكان المطلوب من الطالب أن يميز بين هذه الطرق، لدرجة أنها أصبحت هي المقصودة بالتعليم وهذا خطأ كبيرة فالطرق وسيلة وليست غاية. وفي ذلك يقول ابن خلدون: ( ثم إنه يحتاج إلى تمييز الطريقة القيروانية من القرطبية والبغدادية والمصرية، وطرق المتأخرين عنهم والإحاطة بذلك كله، والمتعلم مطالب باستحضارها جميعها وتميز ما بينها، والعمر ينقضي في واحد منها ) (٢)

مما تقدم يظهر لنا أن ابن خلدون نادى بمراعاة قدرات الطلاب، وأن لا نثقل عليهم بما هو فوق طاقتهم، وأن يتم التعليم ببسر وسهولة حتى يقبل الطلاب التعلم، وتزيد الدافعية لديهم، وأن لا يكون التعليم منفراً لهم. وهذا الذي تنادي به التربية الحديثة، وقد ظهرت

(١) مقدمة ابن خلدون: ص ١٢٣٠.

(٢) المصدر نفسه: ص ١٢٣١.

(٣) مقدمة ابن خلدون: ص ١٢٢٥.

وليس العكس مراعاة للترتيب المنطقي<sup>(١)</sup>. كيفية التعامل مع المتعلم وخاصة في المراحل الأولى، حيث نادى بالاهتمام بالمعاني العامة، والابتعاد عن التفاصيل، واستخدام الأمثلة الحسية، وفي ذلك يقول (يكون المتعلم أول الأمر عاجزاً عن الفهم بالجملة إلا في الأقل وعلى سبيل التقريب وبالإجمال وبالأمثال الحسية)<sup>(٤)</sup>.

كما أن تركيز ابن خلدون على حصر التعلم في علم واحد، في الزمن الواحد، يؤدي إلى تمرين العقل، ثم يتقبل العلوم الأخرى بسهولة، ويقول علماء التربية في ذلك أن تدريب العقل بمادة من المواد يجعله قادراً على التفكير في المواد الأخرى ويمكنه في الإجابة في كل مادة، وهذا بسبب انتقال أثر التدريب من هذه المادة إلى المواد الأخرى<sup>(٢)</sup>.

وهذا مصداق تكرار جبريل عليه السلام القراءة على النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق الآية ١] وهو ما تنادى به التربية الحديثة أن المتعلم إذا كرر عملاً معيناً فهذا يسهل عليه التعلم، كما أن تكرار العمل عدة مرات يكسبه نوعاً من الثبات، ويستطيع المتعلم أن يصحح الأخطاء إن وجدت<sup>(٦)</sup>.

كما أن التجارب الحديثة تدل على أن الاستمرار في تكرار ما تعلمناه يساعد على ثباته في الذهن، وبعض التجارب تقول أننا ننسى حوالي ٦٠٪ من المواد التي يتم تعلمها في حالة عدم التكرار<sup>(٧)</sup>.

وهذا من الأشياء التي نادى بها ابن خلدون، وذلك بأن يبدأ المعلم مع طلابه بالبيسط الذي يقبله عقله، ثم يتدرج معهم مستخدماً التكرار مع استعمال الأمثال الحسية، وبذلك يتم للمتعلم الحصول على العلم ويقول ابن خلدون في ذلك: «( اعلم أن تلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون مفيداً إذا كان على التدرج )»<sup>(٣)</sup>.

ونلاحظ أن ما قاله ابن خلدون لا يختلف عما ينادي به علماء التربية في الوقت الحاضر، من

(١) أصول علم النفس، أحمد راجع: ص ١٥٧.

(٢) أسس التربية وعلم النفس، أحمد يوسف: ص ٣٥٢.

(٣) مقدمة ابن خلدون: ص ١٢٣٣.

(٤) المصدر نفسه: ص ١٢٣٣.

(٥) المصدر نفسه: ص ١٢٣٣.

(٦) أسس التربية، إبراهيم ناصر: ص ١٢٣.

(٧) أصول علم النفس، أحمد راجع: ص ٢٨٣.

«التأصيل الشرعي لمنهج ابن خلدون التربوي (دراسة منهجية مقارنة)»

.....أ. م. د. صلاح حميد عبد | ٤٧٧

ومن النظريات الحديثة التي تطرقت إلى الابتعاد عن الشدة على المتعلمين واستخدام الثواب كعامل من عوامل التعزيز، نظرية ثورنديك وفحواها أن الإنسان إذا اقترن عمله بما ينشرح له صدره كالثواب تمكن هذا العمل في نفسه ورسخ في ذهنه، أما إذا اقترن عمله بما ينقبض له صدره كالعقاب فإن هذا العمل لا يتمكن في نفسه ولا يرسخ في ذهنه وذلك على اعتبار أن الإنسان يميل بطبيعته إلى ما يسره، ويتجنب ما يسؤوه<sup>(٤)</sup>.

ومع أن ابن خلدون عارض الشدة على المتعلمين للآثار السلبية، إلا أنه لم يدعو إلى التسامح الكلي مع الأطفال فقد أباح العقاب البدني في الضرورة القصوى وبما لا يزيد على ثلاثة أسواط، بشرط أن يكون العقاب آخر العلاج، وبعد استخدام الترغيب والترهيب والتوبيخ والعزل والإهمال، إذن العقاب البدني مباح لتعديل سلوك معين ولكن في أضيق الحدود، وكوسيلة لردع الطلاب من الوقوع في الأخطاء، ويجب أن يتفاوت في شدته حسب الذنب المرتكب.

إن العقاب من ضرورات التربية، ولكن يجب أن يختلف في شدته ونوعه حسب الذنب، لأنه نوع من الألم مقصود لذاته، لكي يشعر به الذي قصر أو أهمل، فلا يعاود ما عمله

#### ٤- عدم الشدة على المتعلمين :

لقد انتقد ابن خلدون أسلوب العقاب الذي كان سائداً في عصره، وطلب من المعلمين استخدام الرحمة واللين مع الطلاب فقال: (ينبغي للمعلم في متعلمه والوالد في ولده أن لا يستبد في التأديب)<sup>(١)</sup>، واعتبر أن مجاوزة الحد في العقاب له أضرار على الطلاب ويعمل على إفساد أخلاقه، وبذلك لا يتحقق الهدف من التعليم، ويقول «من كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين أو المماليك أو الخدم سطا به القهر، وحمل على الكذب والخبث»<sup>(٢)</sup>.

وهذا القول لابن خلدون يظهر رأيه في العقاب، حيث يرفض الشدة على المتعلمين، لأنها مضرّة بالمتعلم وتعمل على إفساد أخلاقه وتؤثر على شخصيته، وتعمل على إكساب المتعلمين سلوكيات غير مرغوب فيها. وتزيد القلق والتوتر والخوف في نفوسهم، وقد أشارت دراسات علماء النفس إلى أنه في حالة عدم تمكن الطفل من التخلص من التوتر النفسي، فإن ذلك يؤدي إلى العدوان والانحراف السلوكي، وقد يؤدي إلى الكذب والسرقة والهروب من المدرسة وغير ذلك من مظاهر الجنوح<sup>(٣)</sup>.

(١) مقدمة ابن خلدون: ص ١٢٤٤.

(٢) المصدر نفسه: ١٢٤٣.

(٣) الميسر في سيكولوجية اللعب، أحمد بليقيس

وتوفيق مرعي: ص ١٥٥.

(٤) الوعي التربوي ومستقبل البلاد العربية، جورج

شهيل: ص ١٠٥.

سابقاً، فهذا الرأي لابن خلدون في عدم الشدة مع الطلاب يوافق مع ما يذكره علماء التربية وعلم النفس في الوقت الحاضر<sup>(١)</sup>.

٥- إن كثرة الاختصارات المؤلفة في العلوم تخل بالتعليم :

يرى ابن خلدون أن من العوامل التي تقف في طريق التعليم اختصار كتب العلم فقال:

«ذهب كثير من المتأخرين إلى اختصار الطرق

في العلوم يولعون بها ويدنون منها مختصراً في كل علم يشتمل على حصر مسائله وأدلتها باختصار الألفاظ وحشو القليل منها بالمعاني الكثيرة من ذلك الفن، وصار ذلك مخللاً بالبلاغة وعسراً في الفهم»<sup>(٢)</sup>.

وقد ضرب أمثلة على ذلك بابن الحاجب في الفقه، وابن مالك في قواعد اللغة العربية، وقد انتقد ابن خلدون ذلك لأن بعض العلوم تحتاج إلى الإطالة والتكرار، لأن فيها مفاهيم ومعان لا يستطيع المتعلم فهمها بدون الإطالة والتكرار، ولأن اختصار العلوم يصيبها بالخلل

وتصبح عسيرة على الفهم وخاصة لصغار المتعلمين، لعدم وجود الاستعداد والقدرة لفهم المختصرات. ويقول ابن خلدون أن الاختصار يفسد التعليم ويخل بالتحصيل ويخلط على المبتدئ في التعليم بإلقاء الغايات من العلم

وهو لم يستعد لقبولها<sup>(٣)</sup>. وهذا يوافق الأبحاث التربوية المعاصرة في أن المتعلم يجب أن يستعد للتعلم، وأن لا يرغم على تلقي العلوم دون الاستعداد الكافي، لأن عدم الاستعداد والإرغام يضيع الجهود المبذولة في التعليم<sup>(٤)</sup> (شهيل، ١٩٦١، ص ١١٩).

٦- طرق التدريس :

لم يطلب ابن خلدون من المعلمين استخدام طريقة واحدة في التدريس، وأجاز لهم استخدام الطريقة التي تناسب قدرات وميول وإمكانيات الطلاب لأن التعليم عنده صناعة والصناعات يختلفون في طرق صناعتهم، ولكل صناعة طرق مختلفة ويحق للمعلم أن يستخدم كل الطرق أو بعضها لتحقيق الأهداف المرجوة، وهذا الرأي يتفق مع ما يقوله رجال التربية في الوقت الحاضر من أن أحسن الطرق هي التي تناسب المادة الدراسية ومستوى الطلاب، ومع أن ابن خلدون أباح استخدام الطرق التي تناسب المعلم إلا أنه يشجع على استخدام طريقة المناقشة<sup>(٥)</sup>، إذن فالتعليم عند ابن خلدون يهدف إلى حصول المتعلم على ملكة العلم حيث يصبح على درجة عالية من الفهم

(٣) المصدر نفسه.

(٤) الوعي التربوي ومستقبل البلاد العربية، جورج شهيل: ص ١١٩.

(٥) ينظر: أسس التربية وعلم النفس، أحمد يوسف: ص ١٠٥.

(١) أسس التربية وعلم النفس، أحمد يوسف: ص ١٥٥.

(٢) مقدمة ابن خلدون: ص ١٢٣٢.

«التأصيل الشرعي لمنهج ابن خلدون التربوي (دراسة منهجية مقارنة)»

.....أ. م. د. صلاح حميد عبد | ٤٧٩

فعالة وتوظيفا هادفا للنص القرآني في سبيل الكشف عن حقيقة من حقائق الحياة الكبرى». ويتم هذا العمل الحوارية والاستنطائي بدءا من النظر في واقع الحياة الإنسانية وما تراكم فيه من معطيات بشرية نظرية وعملية، وانتهاء بالنظر في الوحي الإلهي ومقاصده الربانية الدائرة حول حفظ الإنسان وإصلاحه وتركيبته. وتفاعلية النظرين تثمر اكتشاف السنن والقوانين التي يقوم عليها الوجود الكوني والإنساني ومنها القوانين الاجتماعية والتاريخية التي تستوعب نتيجة الفعل الإنساني وسعيه وجهده في تطبيق برنامج الاستخلاف الأرضي.

ومما يدل على أن ابن خلدون كان مفسرا موضوعيا مهتما بالقوانين الاجتماعية هو «ذلك الحشد من الاستشهادات المستمدة من كتاب الله حينا وسنة رسوله عليه السلام حينا آخر وأقوال ومعطيات صحابته الكرام حينا والتي طالما اعتمدها لتعزيز وجهات نظره وجعل استدلالاته أكثر حجية وصوابا وإقناعا»<sup>(٢)</sup>، فهو بحكم التدبر في الوحي الإلهي ثم استفادته من الاستقراء للواقع الإنساني الحي، خلص إلى نظرة استقرائية تهدف الوصول إلى قوانين وأحكام ومبادئ في العمران البشري وصياغتها صياغة علمية مبرهن عليها من شأنها تفسير التحولات الإنسانية وفهمها في علاقة الإنسان

وليس فقط حفظه دون فهم وتعمق، لذا انتقد ابن خلدون الطريقة القيروانية التي كانت في زمانه تركز على الحفظ بشكل كبير، ووصف الطلاب بأنهم يلتزمون الصمت والسكون التام دون مشاركة.

#### • المطلب الثاني: أصل آراء ابن خلدون

ويمكن تلخيص المصادر المعرفية عند ابن خلدون في أصليين:

الأصل الأول: هو الوحي والتفسير الموضوعي: فالتفسير الموضوعي قيام بتدبر قرآني وتبصر حكيم وتفسير علمي «لموضوع من موضوعات الحياة العقائدية أو الاجتماعية أو الكونية فيبين ويبحث ويشرح مثلا عقيدة التوحيد في القرآن أو يبحث عن النبوة في القرآن أو عن المذهب الاقتصادي في القرآن أو عن سنن التاريخ في القرآن أو عن السماوات والأرض في القرآن وهكذا... ويستهدف التفسير التوحيدي الموضوعي من القيام بهذه الدراسات تحديد موقف نظري للقرآن الكريم وبالتالي للرسالة الإسلامية عن ذلك الموضوع من موضوعات الحياة أو الكون»<sup>(١)</sup>، وبهذا يعد التفسير الموضوعي أداة موصلة إلى استكشاف آفاق الرؤية المقاصدية الشرعية من حيث إنه «عملية حوار مع القرآن الكريم واستنطاق له، وليست مجرد استجابة سلبية، بل استجابة

(٢) تجديد الفكر الإسلامي لحسن الترابي ص: ٤٢، الطبعة الأولى، دار القرافي للنشر والتوزيع-المغرب:

(١) تجديد الفكر الإسلامي لحسن الترابي ص: ٤٢، الطبعة الأولى، دار القرافي للنشر والتوزيع-المغرب:

بالإنسان وعلاقة الإنسان بالأشياء والكون وعلاقة الإنسان بالله عز وجل. وتتأكد نظرتة الموضوعية بمميزات أخرى تميزت بها صناعة مقدمته التعبيرية؛ وهي الوحدة السياقية والانسجام التناسبي والترابطية الحاصلة بين فصول مقدمته والمقاطع القرآنية الشريفة التي يختم به الفصول أو تدخل في ثنائياها.

أما الأصل الثاني: فهو الحس والتجربة: فمن المعروف في القواعد الشرعية أن الأدلة العقلية مركبة على الأدلة السمعية؛ لأن العقل ليس بشارع، لكنه إن كشف بالاستنباط عن مقصود شرعي لم يشهد له نص جزئي معين وإنما شهد له مجموع نصوص شرعية وكان موافقا للإنسان في جلب المصالح ودفع المفساد، فهو مأمور شرعا بحفظه والعمل به. وعلى هذا فإن من وسائل الإدراك العقلي للمقاصد الشرعية الحس والتجربة اللذان لا يخالف

المستنبط بهما ما يقصده الشرع بشهادة أدلة كلية وجزئية منه، وموافقة استنباطات الحس والتجربة لاستنباطات تصفح أدلة الشريعة الكلية والجزئية هي لب منهج ابن خلدون<sup>(١)</sup>.

وقد شكل اعتماد الحس والتجربة في التفسير التاريخي قوام منهج ابن خلدون الذي ينقسم حسب عبد الواحد وافي إلى مرحلتين: «تمثل أولاهما في ملاحظات حسية وتاريخية لظواهر

الاجتماع، أو بعبارة أخرى تتمثل في جميع المواد الأولية لموضوع بحثه من المشاهدات ومن بطون التاريخ. وتتمثل الأخرى في عمليات عقلية يجريها على هذه المواد الأولية ويصل بفضلها إلى الغرض الذي قصد إليه من هذا العلم وهو الكشف عما يحكم الظواهر الاجتماعية من قوانين»، فهاتان المرحلتان تشيران «إلى ما هو ثابت في الموقف المعرفي الخلدوني وهو أن بين الطبيعة المادية والتصورات الذهنية يوجد عالم وسيط، عالم الحوادث الفعلية أو بعبارة أخرى بين الحس والنظر يوجد العقل التجريبي، بحيث يكون المنطق النافع الصحيح هو ما ينتج ويتمخض عن ذلك العقل التجريبي»، المنطق العلمي الكاشف لوحدة الموجودات المتجلية في الانتظام الموجود في الطبيعة والتناسب بين عناصرها، بحيث يسهل على العقل التجريبي اكتشاف العلل والقوانين الجامعة بينها<sup>(٢)</sup>.

أولاً: تأصيل الوعي المقاصدي عند ابن خلدون.

إن وعي ابن خلدون بمقاصد العقل التجريبي جعله باحثاً متمرساً عن تطبيقات مقومات الفكر البرهاني بالعمل على استقراء الظواهر الاجتماعية بالملاحظة وبتصفح أحوالها بالمشاهدة وبتمييز خواصها بالتجربة والمقارنة للتوصل إلى قوانين كلية تنظمها، وفي بحثه عن

(٢) ينظر: مفهوم العقل لعبد الله العروي، ص: ١٩٩

(١) ابن خلدون إسلامياً لعقاد الدين خليل: ص ٥٠.



«التأصيل الشرعي لمنهج ابن خلدون التربوي (دراسة منهجية مقارنة)»

.....أ. م. د. صلاح حميد عبد | ٤٨١

ومن خلال هذي الأصلين يتكشف تكامل قراءة الوحي واعتماد الحس والتجربة في التطبيق المقاصدي في التفسير التاريخي الخلدوني حيث تتحدد مقاصد شرعية بمثابة سنن تاريخية<sup>(٤)</sup>.

وارتباط المقصد بالتاريخ من حيث إن فعل الإنسان في التاريخ فعل مقصدي غائي لا سببي فقط، وذلك أنه يحرك الفعل الإنساني لأداء مهمته في تحمل الأمانة، قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب الآية ٧٢].

ثانياً: تأصيل التعليل عند ابن خلدون.

إن المنهج المقاصدي الخلدوني رغم ما أحدثه من وثبة علمية في المعرفة الإسلامية أعادت بنائها بياناً ومنهجاً، وشكلت تجربة تأويلية فريدة لها قطائف معرفية نسبية مع الماضي، فإنه مشروع نظري وواقع حضاري.

يقول ابن خلدون: «ما يذكره الفقهاء في تعليل الأحكام الشرعية بالمقاصد في أن الزنا مخلط للأنساب مفسد للنوع وأن القتل أيضاً مفسد للنوع وأن الظلم مؤذن بخراب العمران المفضي لفساد النوع وغير ذلك من سائر المقاصد الشرعية في الأحكام فإنها كلها مبنية على المحافظة على العمران»<sup>(٥)</sup>، ونجد مقصد

هذه القوانين توصل إلى استنباط مقاصد شرعية عديدة تمثل سنننا تاريخية وقواعد اجتماعية متناسقة ومرتبطة<sup>(١)</sup>

ومن الأمثلة قوله: «فصل في أن الدولة لها أعمار طبيعية كما للأشخاص»<sup>(٢)</sup>، وهو هنا يشير بتأول لسنة الأجل الواردة في قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف الآية ٣٤]، وفي قوله تعالى: ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ [المؤمنون الآية ٤٣] و [سورة المؤمنون/الآية: ٤٣].

ومنها قوله: «فصل في أن الظلم مؤذن بخراب العمران» ويشرح هذا المقصد بكونه هو «الحكمة المقصودة للشارع في تحريم الظلم وهو ما ينشأ عنه من فساد العمران وخرابه وذلك مؤذن بانقطاع النوع البشري وهي الحكمة العامة المراعاة للشرع في جميع مقاصده الضرورية الخمسة من حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال. فلما كان الظلم كما رأيت مؤذناً بانقطاع النوع لما أدى من تخريب العمران كانت حكمة الحظر فيه موجودة فكان تحريمه مهماً، وأدلته من القرآن والسنة كثير، أكثر من أن يأخذها قانون الضبط والحصر»<sup>(٣)</sup>.

(٤) الخلدونية في مرآة فلسفة التاريخ لسالم حميش،

ص: ١١٤

(٥) مقدمة ابن خلدون: ص

(١) مفهوم العقل لعبد الله العروي، ص: ١٩٩

(٢) مقدمة ابن خلدون: ص ١٢٠٣.

(٣) مقدمة ابن خلدون: ص .

عمارة الأرض مفسرا في حفظ نظام التعايش واستمرار صلاحها بصالح المستخلفين فيها وقيامهم بما كلفوا به من عدل واستقامة ومن صلاح في العقل والعمل، يقول عماد الدين خليل: «حيثما تغفلنا في أرجاء القرآن الفسيحة لمطالعة الآيات والمقاطع الخاصة بخلق الكون وتهيئة الظروف الصالحة للحياة على الأرض وتمعنا فيها وجدناها ترتبط ارتباطا عضويا أصيلا بالدور المنتظر الذي بعث الإنسان لكي يلعبه وبالقصد والجدوى والنظام والإعمار والغاية التي بعث من أجلها وهي كلها قواعد أساسية لأي نشاط حضاري فعال هادف منظم متطور على الأرض»<sup>(١)</sup>.

والمنهج الاجتماعي التحليلي يكمن كما يقول ابن خلدون في أن «القانون في تمييز الحق من الباطل في الأخبار بالإمكان والاستحالة أن ننظر في الاجتماع البشري الذي هو العمران، ونميز ما يلحقه من الأحوال لذاته وبمقتضى طبعه وما يكون عارضا لا يعتد به وما لا يمكن أن يعرض له، وإذا فعلنا ذلك كان ذلك لنا قانونا في تمييز الحق من الباطل في الأخبار والصدق من الكذب بوجه برهاني لا مدخل للشك فيه، وحيثئذ فإذا سمعنا عن شيء من الأحوال الواقعة في العمران علمنا ما نحكم بقبوله مما نحكم بتزييفه وكان ذلك معيارا صحيحا يتحرى به المؤرخون طريق الصدق

والصواب فيما ينقلونه»<sup>(٢)</sup>.  
ثالثاً: تحليلات التطبيق المقاصدي  
إن نظرية ابن خلدون في العمران البشري وارتكازها على المنهج المقاصدي هو «نتاج التفكير المنطقي الإسلامي الذي ينشد التوصل إلى اليقين، ذلك لأن ابن خلدون في إنشاء علمه الجديد وصياغة موضوعه وبيان مسأله والكشف عن أسباب ما يحدث فيها من تغيرات قد سار على هدى المنهج التجريبي الذي يعبر عن روح الإسلام»<sup>(٣)</sup>.

إن التوظيف المقاصدي عند ابن رشد لا يمثل إلا حلقة من الحلقات المقاصدية المتنامية في المعرفة الإسلامية عامة وفي علم الأصول بالخصوص الذي تأصلت فيه وبقيت لصيقة ببعض مسأله كدليل القياس ومسلك المناسبة في إثبات العلة ودليل الاستحسان وسد الذرائع وفتحها واعتبار المآلات والعرف... حتى جاء الشاطبي فأبان عن إمكانية جعلها علما خاصا مستقلا بموضوعه ومنهجه وقواعده»<sup>(٤)</sup>.

وقد عمل الغزالي على تأصيل المقاصد الشرعية وجعلها قاعدة مركزية في فهم الشريعة واستنباط الأحكام منها وذلك في تقريره أن المصلحة «عبارة عن جلب منفعة أو دفع

(٢) مقدمة ابن خلدون.

(٣) فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال، قدم له ألبير نصري ص: ٣٥.

(٤) الموافقات في أصول الشريعة، تعليقات عبد الله دراز، دار المعرفة: ٣٩١/٢-٣٩٣.

(١) مقدمة ابن خلدون: ص



«التأصيل الشرعي لمنهج ابن خلدون التربوي (دراسة منهجية مقارنة)»

.....أ. م. د. صلاح حميد عبد | ٤٨٣

النظر المصلحي المقاصدي، ويتعلق الثاني بتطبيق منهج التعليل باعتباره قاعدة الفقه المقاصدي وروحه الناظمة لمسائله. المسلك الأول: تطبيق بعض مفاهيم النظر المصلحي المقاصدي

بناء على الاستقراء عمل الأصوليون القدامى على تقسيم المناسبات المصلحية إلى ما هي في رتبة الضرورة وما هي في رتبة الحاجة وما هي في رتبة التحسين، وهذا التقسيم الثلاثي إنما كان بالاستقراء ونظرا إلى الوقوع والعلم بانتفاء رتبة خارجة عنهن في العادة مما يفيد أن الأمر اجتهادي يفتح إمكانية التفكير في المراتب وتلازماتها التي حددها الشاطبي في خمسة :

أحدها: أن الضروري أصل لما سواه من الحاجي والتكميلي.

والثاني: أن اختلال الضروري يلزم منه اختلال الباقيين بإطلاق.

والثالث: أنه لا يلزم من اختلال الباقيين اختلال الضروري.

والرابع: أنه قد يلزم من اختلال التحسيني بإطلاق أو الحاجي بإطلاق اختلال الضروري بوجه ما.

والخامس: أنه ينبغي المحافظة على الحاجي وعلى التحسيني للضروري<sup>(٣)</sup>.

مضرة ولسنا نعني به ذلك، فإن جلب المنفعة ودفْع المضرة مقاصد الخلق وصلاح الخلق في تحصيل مقاصدهم لكننا نعني بالمصلحة المحافظة على مقصود الشرع من الخلق ومقصود الشرع من الخلق خمسة وهو أن يحفظ عليهم دينهم ونفسهم وعقلهم ونسلهم ومالهم، فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة»، وقد رد المصلحة إلى حفظ مقاصد الشرع لأنه يرى أن «مقاصد الشرع تعرف بالكتاب والسنة والإجماع فكل مصلحة لا ترجع إلى حفظ مقصود فهم من الكتاب والسنة والإجماع وكانت من المصالح الغريبة التي لا تلائم تصرفات الشرع فهي باطلة مطرحة ومن صار إليها فقد شرع»<sup>(١)</sup>.

عملت المدارس الأصولية على العناية بجوانب معينة منه ترسخ العمل بها منذ أن صار العلم في المجتمع المسلم «ملكة يحتاج إلى التعلم فأصبح من جملة الصنائع والحرف» فتلقفها الشاطبي ليفردها بالتأليف ويعيد بها صياغة علم أصول الفقه، وابن خلدون ليؤسس عليها منهجه في الكتابة<sup>(٢)</sup>.

ويمكن الحديث عن تجليات التطبيق المقاصدي عند ابن خلدون من خلال مسلكين: يتعلق الأول بتطبيق بعض مفاهيم

(١) الموافقات في أصول الشريعة، تعليقات عبد الله دراز، دار المعرفة: ٣٩١/٢-٣٩٣.

(٢) بنية العقل العربي، ص: ٥٥١.

(٣) الموافقات، ١٦/٢.

وقد عمل ابن خلدون على تطبيق هذه التلازمات في كثير من القضايا منها: يقول: «اعلم أن اختلاف الأجيال في أحوالهم إنما هو باختلاف نحلتهن من المعاش فإن اجتماعهم إنما هو للتعاون على تحصيله والابتداء بما هو ضروري منه وبسيط قبل الحاجي والكمالي» ثم يقول في فصل أن البدو أقدم من الحضرة وسابق عليه: «قد ذكرنا أن البدو هم المقتضرون على الضروري في أحوالهم، العاجزون عما فوقه، وأن الحضرة المعتنون بحاجات الترف والكمال في أحوالهم وحوادثهم. ولا شك أن الضروري أقدم من الحاجي والكمالي وسابق عليه لأن الضروري أصل والكمالي فرع ناشئ عنه، فالبدو أصل للمدن والحضرة وسابق عليهما، لأن أول مطالب الإنسان الضروري ولا ينتهي إلى الكمال والترف إلا إذا كان الضروري حاصلًا»<sup>(١)</sup>.

﴿١٧﴾ [الأنبياء الآية ١٧] ، وقال في أصل الخلقة: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود الآية ٧] .  
وأما التعاليل لتفاصيل الأحكام في الكتاب والسنة فأكثر من أن تحصى كقوله بعد آية الوضوء: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ وَعَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة الآية ٦] وإذا دل الاستقراء على هذا وكان في مثل هذه القضية مفيدا للعلم فنحن نقطع بأن الأمر مستمر في جميع تفاصيل الشريعة.

والتعليل عند ابن خلدون تعليل أصولي في كل حيثاته الجزئية والكلية (والواقع أنه إذا كان ابن خلدون قد أفاد من طائفة في الفكر الإسلامي فهم الأصوليون، إنه يستخدم مصطلحاتهم قياس الغائب على الشاهد قياس الأشباه والنظائر تعليل المتفق والمختلف، ما طبقه ابن خلدون على مسار التاريخ يكاد يماثل ما طبقه الأصوليون على قضايا الشرع هؤلاء مادتهم ما يتعرض له الناس من أفضية تقتضي أحكاما شرعية ومادته هو وقائع التاريخ التي تقتضي تعديلات وأحكاما كلية». وقمة وفاء ابن خلدون لعلم أصول الفقه تبدو في كشفه لأهمية الوعي بالمنهج المقاصدي الأصولي في نقد العلوم الإسلامية نقدا منهجيا متزنا ومتوازنا، وفي استنباط علوم جديدة كعلم العمران البشري وما يتعلق به من علوم عديدة،

#### المسلك الثاني: تطبيق منهج التعليل

لقد أثبت الأصوليون المبتنون للقياس أن الشريعة مملوءة بالتعليل، يقول الشاطبي: «والمعتمد إنما هو أنا استقرينا من الشريعة أنها وضعت لمصالح العباد استقراء لا يناع فيه الرازي» ولا غيره، فإن الله تعالى يقول في بعثه الرسل وهو الأصل: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [البسَاء الآية ١٦٥] ، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ

«التأصيل الشرعي لمنهج ابن خلدون التربوي (دراسة منهجية مقارنة)»

.....أ. م. د. صلاح حميد عبد | ٤٨٥

وذلك لأن الوعي بإعمال المقاصد الشرعية هو وعي بإعمال العقل المصلحي النفعي الذي يتلو بالضرورة تغلغل العقل التجريبي في اكتشاف قوانين الاجتماع الإنساني وسنن الاستقرار فيه والتغيير<sup>(١)</sup>.

وقد أسس ابن خلدون عمله التعليلي التأويلي للعمارة البشرية على شروط العلم البرهاني كما استقرأها الشاطبي من مجموع نظام الشريعة وحددها في ثلاثة:

إحداها العموم والاطراد: فلذلك جرت الأحكام الشرعية في أفعال المكلفين على الإطلاق وإن كانت آحادها الخاصة لا تتناهى، فلا عمل يفرض ولا حركة ولا سكون يدعى إلا والشريعة عليه حاكمة إفرادا وتركيبا.

والثانية الثبوت من غير زوال: فلذلك لا تجد فيها بعد كمالها نسخا ولا تخصيصا لعمومها ولا تقييدا لإطلاقها ولا رفعاً لحكم من أحكامها لا بحسب عموم المكلفين ولا بحسب خصوص بعضهم ولا بحسب زمان دون زمان ولا حال دون حال...

والثالثة كون العلم حاكما لا محكوما: بمعنى كونه مفيدا لعمل يترتب عليه مما يليق به، فلذلك انحصرت علوم الشريعة فيما يفيد العمل أو يصبو نحوه، لا زائدا على ذلك،

والثالثة كون العلم حاكما لا محكوما: بمعنى كونه مفيدا لعمل يترتب عليه مما يليق به، فلذلك انحصرت علوم الشريعة فيما يفيد العمل أو يصبو نحوه، لا زائدا على ذلك،

والثالثة كون العلم حاكما لا محكوما: بمعنى كونه مفيدا لعمل يترتب عليه مما يليق به، فلذلك انحصرت علوم الشريعة فيما يفيد العمل أو يصبو نحوه، لا زائدا على ذلك،

والثالثة كون العلم حاكما لا محكوما: بمعنى كونه مفيدا لعمل يترتب عليه مما يليق به، فلذلك انحصرت علوم الشريعة فيما يفيد العمل أو يصبو نحوه، لا زائدا على ذلك،

والثالثة كون العلم حاكما لا محكوما: بمعنى كونه مفيدا لعمل يترتب عليه مما يليق به، فلذلك انحصرت علوم الشريعة فيما يفيد العمل أو يصبو نحوه، لا زائدا على ذلك،

والثالثة كون العلم حاكما لا محكوما: بمعنى كونه مفيدا لعمل يترتب عليه مما يليق به، فلذلك انحصرت علوم الشريعة فيما يفيد العمل أو يصبو نحوه، لا زائدا على ذلك،

والثالثة كون العلم حاكما لا محكوما: بمعنى كونه مفيدا لعمل يترتب عليه مما يليق به، فلذلك انحصرت علوم الشريعة فيما يفيد العمل أو يصبو نحوه، لا زائدا على ذلك،

والثالثة كون العلم حاكما لا محكوما: بمعنى كونه مفيدا لعمل يترتب عليه مما يليق به، فلذلك انحصرت علوم الشريعة فيما يفيد العمل أو يصبو نحوه، لا زائدا على ذلك،

والثالثة كون العلم حاكما لا محكوما: بمعنى كونه مفيدا لعمل يترتب عليه مما يليق به، فلذلك انحصرت علوم الشريعة فيما يفيد العمل أو يصبو نحوه، لا زائدا على ذلك،

والثالثة كون العلم حاكما لا محكوما: بمعنى كونه مفيدا لعمل يترتب عليه مما يليق به، فلذلك انحصرت علوم الشريعة فيما يفيد العمل أو يصبو نحوه، لا زائدا على ذلك،



(١) ينظر: في فلسفة التاريخ لأحمد محمود صبحي، ص: ١٣٩. التأصيل الإسلامي لنظريات ابن خلدون، لعبد الحليم عويس، ص: ٩١، علم الاجتماع الخلدوني: قواعد المنهج، لحسن الساعاتي، ص: ٤١.

(٢) الموافقات، ١٦/٢، بنية العقل العربي: ص ٥١، نظرية التأويل لمصطفى ناصف، ص: ٧٠.

(٣) نظرية التأويل لمصطفى ناصف، ص: ٧٠.

## الخاتمة

لم يكن عمل ابن خلدون في تطبيقه للمنهج المقاصدي في نظريته العمرانية إلا اجتهادا تأويليا تعليليا جزئيا أمام الدفعة الحضارية القرآنية للعقل المسلم كي يتدبر ويتبصر ويتفكر وينظر في السنن الكونية التي جعلها الله تعالى عللا تنشأ عنها الظواهر، بحيث تتشكل لديه قوة الملاحظة للعلاقات الرابطة بين الظواهر الطبيعية ومكوناتها الداخلية ليستخلص أن لكل ظاهرة علة تدور معها وجودا وعدما طردا وعكسا اتفاقا واختلافا، وأن أساس البحث في هذه العلية هو الاستقراء الكلي أو الأغلبي أو الجزئي... إن النقلة المنهجية التي فتقها ابن خلدون تنتظر من المسلمين رعاية علمية تستلهم الأسئلة المعرفية التي أثارها ابن خلدون وتؤسس لمعاصرة فاعلة للعقل المسلم تحرره من أسر الظاهر وطغيان الباطن ليصوغ آلية علمية وسطية قادرة على الحفر والغوص في فقه النص وفقه الواقع وجدليتهما.

إن السؤال المعرفي الذي يثيره هذا البحث هو البحث الجاد في المنهج المقاصدي لصياغة قوالب جديدة له في غير مجال الأحكام الشرعية الفقهية الجزئية، ترفع المصالح الشرعية الضرورية والحاجية والتحسينية إلى ميزان كمي وكيفي تدرك أبعاده الحضارية الإنسانية كلها عبر مجهود العقل المسلم ثم التفكير في صياغة عقل تعليلي مقاصدي يرتبط بالإشكالات المعرفية الواقعية لإيجاد الحلول الحضارية الناجعة المؤدية فعلا لخروج الأمة

إن المنهج المقاصدي وتطبيقاته أوسع من كونه مصلحة مرسله أو تعليلا لمصلحا للأحكام الشرعية، وذلك لأنه منهج بحث في المعرفة التكاملية المستمدة من الوحي الإلهي، يعتمد التعليل الكلي لظواهرها، بحيث يتم النظر العلمي والنقدي في أية ظاهرة فكرية أو كونية بناء على دراسة قوانينها الداخلية التي تحكم منطق نظامها على قاعدة تحقيق المصلحة الشرعية الثابتة والمتغيرة.

ويشكل هذا المنهج البحثي لب نظرية المقاصد عند ابن خلدون التي أقام عليها نظريته حول العمران البشري والتي أثبتت استقلاليتها في الاجتهاد وأنه ليس متكلماً أشعريا وفقهيا مالكيا ومفسرا تاريخيا فحسب، بل فيلسوفا مقاصديا يعتمد منهجا برهانيا واستقرائيا.

لقد أحدث ابن خلدون نقلة منهجية مقاصدية تأسيسية للمعرفة الإسلامية عامة ودراسة المعرفة التاريخية خاصة لاستخراج مجهولها من معلومها، وكانت نقلته تفسيرا موضوعيا للنص الشرعي، فقد حدد موضوع معرفة الاجتماع البشري ومعرفة طبائعه وقوانينه ونظر إليها في الوحي من خلال مدخل مقاصده الشرعية التي لم ينجز في مقدمته تنظيرا لها وتعريفا بمنهجها كما فعل أبو إسحاق الشاطبي في كتابه الموافقات.

«التأصيل الشرعي لمنهج ابن خلدون التربوي (دراسة منهجية مقارنة)»

.....أ. م. د. صلاح حميد عبد | ٤٨٧

## المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

١. ابن خلدون إسلاميا لعماد الدين خليل، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، المكتب الإسلامي بيروت.

٢. التحرير والتنوير، ابن عاشور، مطبعة الوراق.

٣. ابن خلدون حياته وتراثه الفكري، محمد عنان. (١٩٣٣). القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية.

٤. ابن خلدون في الخطابات العربية المعاصرة دراسة تصنيفية وتحليلية»، صالح عبدالعظيم. (٢٠٠٦). مجلة العلوم الاجتماعية. المجلد ٣٤ العدد ٣. الكويت: جامعة الكويت. ص ٤٧-٨٣.

٥. اتجاهات نظرية في علم الاجتماع لعبد الباسط عبد المعطي، ص: ١٣، سلسلة عالم المعرفة، ع: ٤٤، سنة ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

٦. الإحكام أصول الأحكام، لسيف الدين ابي الحسن علي بن ابي علي بن محمد الأمدي، ضبطه وكتب حواشيه: الشيخ ابراهيم العجوز، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ٥، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

٧. أسس التربية وعلم النفس، أحمد يوسف (١٩٥٥). لجنة البيان، بدون مكان النشر.

٨. أسس التربية، إبراهيم ناصر. (١٩٨٩).

من أزماتها التي صارت تشكل معادلات مركبة صعبة الاختراق بما كسبت سكونية العقل المسلم وبعده عن الإرادة الحقيقية لتجاوز. توصيات البحث :

في ضوء نتائج البحث نوصي بالآتي :

١- دراسة القرن الثامن الهجري لبيان واقع الحياة في ذلك القرن.

٢- دراسة الآراء التربوية للعلماء والمسلمين، وبيان كيفية الاستفادة منها في الوقت المعاصر.

٣- دراسة نظام التعليم في القرن الثامن الهجري، مع ذكر الجوانب الإيجابية للاستفادة منها .

• نتائج البحث :

توصل البحث إلى ما يلي :

إن الكثير من هذه الأفكار التربوية تتفق مع ما تنادي به التربية الحديثة.



- عمّان: دار عمار. ١٩٩١، المركز الثقافي العربي بيروت.
٩. أصول التربية الإسلامية. محمد الخطيب، ومصطفى متولي ونور الدين عبدالجواد ومحروس غبان وفتحية الفزاني. (١٩٩٥). الرياض: مكتبة الخريجي.
١٠. أصول التربية الإسلامية. أمين أبو لاوي. (١٩٩٩). الدمام. دار ابن الجوزي.
١١. أصول علم النفس، أحمد راجع. (١٩٧٠). القاهرة: المكتب المصري الحديث.
١٢. أعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم الجوزية، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٨٧ م
١٣. أعلام النبوة، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، دار الكتاب العربي - بيروت، ط ١، ١٩٨٧ م، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي .
١٤. الأعلام، خير الدين الزركلي. (د. ت).. بدون اسم الناشر ومكان النشر.
١٥. البحث العلمي مفهومه، أدواته، أساليبه، ذوقان عبيدات وعبدالرحمن عدس وكايد عبدالحق. (١٩٨٨). عمّان: دار الفكر للنشر والتوزيع.
١٦. البرهان في أصول الفقه، لإمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك بن عبد الله بن سوسف الجويني تحقيق: د. عبد العظيم محمود الديب، دار الوفاء للطباعة، المنصورة، ط ٤، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
١٧. بنية العقل العربي، الطبعة الثانية، ١٩٩١، المركز الثقافي العربي بيروت.
- فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال. التأصيل الإسلامي لنظريات ابن خلدون، لعبد الحليم عويس.
١٨. تاج العروس، السيد محمد مرتضى الزبيدي، تحقيق: عبد العليم الطحاوي، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٦٨ م.
١٩. تجديد الفكر الإسلامي لحسن الترابي، الطبعة الأولى، دار القرافي للنشر والتوزيع - المغرب.
٢٠. تراثنا بين الماضي والحاضر. عائشة عبدالرحمن. (١٩٧٠). القاهرة: دار المعارف.
٢١. التربية الإسلامية المفهومات والتطبيقات، سعيد علي ومحمد الحامد وعبدالراضي محمد. (٢٠٠٤). الرياض: مكتبة الرشد.
٢٢. التربية الإسلامية وفلاسفتها. محمد الإبراشي، (١٣٩٥). مصر: مطبعة الحلبي.
٢٣. التصور اللغوي عند الاصوليين، د. السيد احمد عبد الغفار.
٢٤. تطور الفكر التربوي، فخري خضر. (١٩٨٢). دار الرشيد للنشر والتوزيع. بدون مكان النشر.
٢٥. التفسير الإسلامي للتاريخ، الطبعة الخامسة مارس ١٩٩١ م، دار العلم للملايين، بيروت.
٢٦. التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، دار الفكر المعاصر، دار الفكر - بيروت، دمشق، الطبعة الأولى،



«التأصيل الشرعي لمنهج ابن خلدون التربوي (دراسة منهجية مقارنة)»

.....أ. م. د. صلاح حميد عبد | ٤٨٩

- ١٤١٠هـ، تحقيق: د. محمد رضوان الداية. اعداد: عبد المجيد جمعة الجزائري، تقديم  
٢٧. خلاصة التشريع الإسلامي، عبد الوهاب خلاف، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، الكويت.  
٢٨. الخلدونية في مرآة فلسفة التاريخ لسالم حميش، ص: ١١٤ مجلة الاجتهاد، ع: ٢٢، س: ٦، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م  
٢٩. دراسات عن مقدمة ابن خلدون. ساطع الحصري. (١٩٥٣). مصر: دار المعارف.  
٣٠. دراسة مقارنة لتاريخ التربية.، عبدالغني عبود. (١٩٧٨). القاهرة: دار الفكر العربي.  
٣١. فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال، قدم له ألبير نصري نادر، الطبعة السادسة، دار المشرق، بيروت.  
٣٢. الفكر التربوي مدارسه واتجاهات تطوره.، مصطفى زياد. (٢٠٠٢). الرياض: مكتبة الرشد.  
٣٣. في التربية الإسلامية. عبدالغني عبود. (١٩٧٧). القاهرة: دار الفكر العربي.  
٣٤. في الفكر التربوي الإسلامي، لطفي أحمد. (١٩٨٢). الرياض: دار المريخ.  
٣٥. في فلسفة التاريخ، طبعة ١٩٩٤م، دار النهضة العربية بيروت. علم الاجتماع الخلدوني، لحسن الساعاتي، الطبعة الأولى، ١٩٧٢، دار النهضة العربية بيروت.  
٣٦. قاموس التربية. فاخر عاقل. (١٩٨٣). بيروت: دار القلم.  
٣٧. القواعد الفقهية المستخرجة من كتاب اعلام الموقعين، للعلامة ابن قيم الجوزية، ٤٥. الموافقات في أصول الشريعة تعليقات عبد

«التأصيل الشرعي لمنهج ابن خلدون التربوي (دراسة منهجية مقارنة)»

٤٩٠ | أ.م. د. صلاح حميد عبد.....

الله دراز، دار المعرفة، دون تاريخ.

٤٦. الميسر في سيكولوجية اللعب، أحمد

بلقيس وتوفيق مرعي (١٩٨٧). عمّان: دار

الفرقان للنشر والتوزيع.

٤٧. نظرية التأويل لمصطفى ناصف، الطبعة

الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، جدة السعودية.

٤٨. الوعي التربوي ومستقبل البلاد العربية،

جورج شهيل (١٩٦١). بدون اسم الناشر

ومكان النشر.

